ISSN: 2253-0347
مجلــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 09 / العدد: 05 / السنة: 2020 / ص ص: 137-160

التحولات العمرانية في مدينة بسكرة و تأثيراتها على المحيط

Urban transformations in Biskra and their impacts on the environment

تاريخ الإرسال: 2018/10/28 تاريخ القبول: 2020/12/09 تاريخ النشر: 2020/12/28

سمير بشارة [1]، محمد الشريف عداد [2]

[1] جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر *Email : samirgtu@hotmail.fr*

[2] جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر *Email : adad.cherif@univ-oeb.dz*

الملخص:

تشكلت الصورة الحضرية لمدينة بسكرة من خلاصة المراحل التاريخية المتتالية التي مرت بها, عرفت خلالها مجموعة من التحولات، في كل مرحلة يظهر نمط عمراني يختلف عما سبق. يبرز الجانب الاقتصادي والاجتماعي والفكري للسكان، أي بمعنى آخر يستمد خصوصيته من فترة ظهوره. وكنتيجة لكل هذه التراكمات تشكلت أنسجة عمرانية مختلفة عن بعضها البعض في الشكل والمظهر والوظيفة والممارسات عبر ثلاث فترات زمنية متعاقبة (ماقبل الاستعمار الفرنسي، فترة الاستعمار الفرنسي، فترة مابعد الاستقلال).

سنحاول في هذا البحث رصد التحولات العمرانية التي شهدتها مدينة بسكرة، بالتطرق الى مختلف خصائصها ومظاهرها وتأثيراتها السلبية على المحيط بصفة عامة، والمحيط البيئي بصفة خاصة التي جاءت كنتيجة لهذه التحولات.

الكلمات المفتاحية: التحولات العمرانية؛ المحيط؛ مدينة بسكرة؛ الشكل الحضري؛ الوظيفة العمرانية.

المؤلف المرسل: سمير بشارة، *Email : samirgtu@hotmail.fr*

Abstract:

The urban image the city of Biskra was formed through the successive historical stages it has undergone, it experienced meanwhile a series of transformations, at each stage an urban style appeared differs in its characteristics from the precedent. Highlighting the economic, social and intellectual aspects of the population , In other words derives its privacy from the period of its appearance , as a result of all these accumulations Different urban tissues were formed from each other , in form , appearance, function, and practices through three stages (the pre-colonial phase of France, the French colonial period, the period after independence) ,.

In this research, we will attempt to monitor the urban transformations witnessed by the city of Biskra, by addressing its various characteristics and its appearance and their negative effects on the environment in general and the natural environment in particular Which considered as a result of these transformations.

Key words: Urban Transformations;environment;Biskra City ;Urban form;The Urban Function

1. مقدمة:

إن التموقع الجغرافي لمدينة بسكرة لم يأت بمحض صدفة، بل الهدف منه مراقبة المجال، و ما آلت اليه هذه المدينة اليوم دليل على تأثرها بمختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية و السياسية و حتى الطبيعية عبر مراحل متعاقبة. ساهمت في تغيير عمرانها شكلا ومضمونا .

للمحيط دور بارز في تشكيل صورة مدينة بسكرة و الأثر في تحديد هوية تميزها عن باقي المدن (مدينة واحتية). و هذا بفضل الجمع الأمثل بين المؤثرات الطبيعية والبشرية معا بطريقة مثالية ومنسجمة. ومع التحولات التي عرفتها المدينة فقد تغير عمرانها، وتحول من التقليدي الى المعاصر (زيادة الحجم، اختفاء العمران المتظام،

تلاشي طرق البناء التقليدية، تدهور الواحة...) ولم يعد يحترم ذلك المحيط الذي نشأت فيه

إشكالية الدراسة: ***ماهي التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة بسكرة؟ وكيف كانت تأثيراتها على المحيط؟***

2. مفاهيم تتعلق بالدراسة

***التحولات العمرانية**: وهي إحدى أشكال التحولات الحضرية الناتجة عن مجموعة من العوامل المتراكمة، وتظهر نتائجها بالتغير في الشكل أو الوظيفة، أو الحجم(مدور وليد،2010/2009).

***المحيط:** هو وسط فيزيائي مهيأ استغلاله يختلف من مجتمع لآخر، يتألف من مجموعة من عناصر معقدة و مرتبطة ببعضها البعض، وفق علاقات متبادلة تشكل الإطار والوسط وشروط الحياة للإنسان.

***النسيج الحضري:** هو مجموعة عناصر الإطار العمراني الذي يكون فيه الكل متجانس كخيوط النسيج فيه التشابك والترابط والعلاقة بينها(**MARLIN. P et CHOAY 2000 F**).

***المورفولوجية الحضرية:** هي الشكل الفيزيائي للمدينة المنشأ والمخطط بشكل تدريجي. والتي تعبر عن شكل المدينة عبر المراحل التاريخية، ومختلف العلاقات المتبادلة بين عناصر النسيج الذي يعرف التنظيمات والتنسيقات الخاصة بالأشكال العمرانية (الساحات، الطريق، ...) (**REMY Allain, 2004**).

***الشكل الحضري:** هو عبارة عن لغة (**langage**) مجالية تترجم وتجسد توزيع العناصر المشكلة للمجال الحضري، وفق مبادئ ولاسيما الهندسية (الطرق. المحاور. الواجهات ...)(**SAIDOUNI Maouia,2000**).

3-مجال الدراسة

***المجال الجغرافي:** تم اجراء هذه الدراسة على مدينة صحراوية، تقع في اقليم الزيبان أحد أقاليم الصحراء الشرقية الجزائرية.

***المجال العمراني:** هذه الدراسة تشمل مدينة بسكرة (عاصمة اقليم الزيبان).

***المجال الزمني**: استمرت الدراسة حوالي 05 أشهر أي من بداية شهر نوفمبر2015 الى غاية نهاية مارس .2016

3-المنهج المعتمد: اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي: فمن خلاله تم وصف مختلف التحولات العمرانية التي عرفتها منطقة الدراسة كميا ونوعيا، وتحليلها تحليلا دقيقا. وذلك بالتطرق الى كل المتغيرات المرتبطة بها وبالمحيط.

4-بعض الدراسات السابقة :

- توصل **(HILLIER Bill , 1996)** في دراسته للتحولات العمرانية أنها نظام مورفولوجي وظيفي يمثل نظام من الوسائل والأهداف. مركزا في دراسته على الحركة وتأثيراتها على البنية الحضرية للمدينة من الناحية الاجتماعية، اي بمعنى آخر يربط بين المجال وسلوكات السكان.
- يربط **(ALDO Rossi , 1982)** تحولات المدينة بالبعد الزمني، إذ يكون هناك أكثر من تحول في زمن محدد، وقد تكون هذه التحولات متتالية على مستوى الوظائف التي تؤدي إلى تحولات فيزيائية وفقا لمتطلباتها.
- دراسة**MARC Côte** ومجموعة من الباحثين والتي انتهت بصدور كتاب باللغة الفرنسية يحمل عنوان: **« La ville et le désert: Le Bas Sahara Algérien»** الصادر سنة 2005 التي خصت في جانب منها للتحولات العمرانية التي عرفتها مدن الصحراء الشرقية الجزائرية و كذا مستقبلها بما فيها مدن اقليم الزيبان (مدينة بسكرة).و توصل الى أمر مهم هو أن التعمير في الصحراء له جذور قديمة بفعل عامل التجارة.
- دراسة **SRITI Leila** لنيل شهادة دكتوراه علوم في الهندسة المعمارية سنة 2013 من جامعة بسكرة مقدمة باللغة الفرنسية بعنوان:

« Architecture domestique en devenir : Formes, Usages et Représentation. Le cas de Biskra »

وقد ركزت في دراستها الى الخصائص المعمارية والعمرانية والاجتماعية للعمارة السكنية في مدينة بسكرة وكذا مراحل تطورها، وقد اتخذت الباحثة حي المجاهدين كعينة لبحثها. لتتوصل في الأخير الى مجموعة من النتائج لخصتها في أن العمارة السكنية في مدينة بسكرة عرفت تحولات في عدة جوانب: فراغية، موفولوجية، وظيفية وكذا جمالية بفعل مجموعة من العوامل الاجتماعية والتكنولوجية وغيرها من العوامل.

5-التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة بسكرة

5-1-التحولات المجالية : من أكبر وأقدم واحة إلى أكبر مدينة في إقليم الزيبان

إن التحولات المجالية في المدن الصحراوية بصفة عامة وفي مدينة بسكرة بصفة خاصة، لها خصائصها تتميز بها عن غيرها. فانتقالها من العمران التقليدي المتراص المحاط بغابات النخيل إلى المدينة الحديثة بمفهومها الحالي وبمكوناتها من سكن و وظائف و وسائل نقل وهياكل قاعدية، جاء نتيجة الأحداث التاريخية التي مرت بها وبعض العوامل الخارجية. واختلفت وتيرته من مرحلة إلى أخرى خلال ثلاث محطات مهمة هي:

أ-مرحلة ماقبل الاستعمار الفرنسي(1541-1844): أهم ما ميز المرحلة هو تموقع العمران داخل الواحة بفضل ثلاث عناصر مهمة هي: **الماء، القصر، النخيل**. و متكونا من التجمعات التقليدية السبعة هي: باب الدرب-باب الفتح-قداشة-مجنيش-رأس القرية-لمسيد-سيدي بركات. بالإضافة الى قرية رأس الماء.خلال هذه المرحلة تضاعفت المساحة المبنية حوالي 5 مرات فمن **31.41هكتار** عام 1541الى **161.07هكتار** عام 1844.

ب-مرحلة الاستعمار الفرنسي(1844-1962): أول ما قام به المستعمر هو البناء شمالا خارج الواحة وذلك لأغراض عسكرية أكثر منها عمرانية.وقد كان هذا الانتقال بمثابة فكر جديد في استهلاك المجال بالنسبة للسكان المحليين. بالموازاة مع ذلك انتشر البناء

الفوضوي بشكل كبير، خاصة بعد اندلاع الثروة التحريرية بين الحي الأوروبي شمالا والمدينة القديمة جنوبا تشكلت على إثره أحياء مهمة أبرزها حي سطر الملوك، حي البخاري... وكذا في الجهة الشرقية لواد بسكرة(العالية). و قد بلغت المساحة المبنية نهاية المرحلة 433.25**هكتار** بزيادة قدرت ب **272.18 هكتار** أي انها تضاعفت **مرتين** وهي اقل مقارنة بالمرحلة الأولى.

ج-مرحلة مابعد الاستقلال(1962-2015): في السنوات الاولى من الاستقلال كان استهلاك المجال بشكل فوضوي، لكن بعد 1974 أصبح بشكل مخطط السمة البارزة في المدينة(ارتقاء المدينة الى مقر ولاية)، مجسدة في شكل سكن فردي وجماعي ونصف جماعي واستثمارات عمومية، في محاولة لتنظيم عمران المدينة من خلال مختلف السياسات العمرانية التي تبنتها الدولة الجزائرية. لكن هذا لم يمنع من الحد من ظاهرة البناء الفوضوي، التي زادت وبشكل كبير على حساب غابات النخيل. دون أن ننسى البناء الهش الذي تسكنه الفئات الفقيرة من السكان، وكذا المهاجرين القادمين خلال العشرية السوداء، وقد كانت العالية الشمالية مستقرا لهم.من أهم الأحياء المشكلة في هذه المرحلة:

الجماعي: المنطقة السكنية الحضرية الشرقية والمنطقة السكنية الحضرية الغربية.

الفردي المخطط: التحصيصات والتعاونيات (المجاهدين، السعادة، طريق شتمة...)

الفردي الفوضوي: حوزة الباي-سيدي غزال-العالية-لمصلى.

البناء الهش: العالية الشمالية وفي الجنوب.

الجدول01: الاستهلاك المجالي لمدينة بسكرة عبر الزمن

المرحلة	المساحة المبنية(الهكتار)	الزيادة في المساحة (الهكتار)
ما قبل 1541	31.41	--
1680-1541	44.31	12.90
1844-1680	161.07	129.66
1865-1844	200.16	39.09
1932-1865	230.01	29.85
1962-1932	433.25	203.24
1977-1962	640.95	207.70
2008-1977	2778	2137

المصدر: مراجعة المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير لبلديات بسكرة,الحاجب,شتمة2008

2-5-التحولات المورفولوجية : تشكلت الصورة العمرانية لمدينة بسكرة من خلال مختلف التحولات المورفولوجية التي شهدتها عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها. والتي تجلت في التصميم العمراني وأنماط استخدام الأرض.

وقد نتج عن هذه التحولات وجود 4 أنماط عمرانية هي: النمط التقليدي، النمط الأوروبي، النمط الفوضوي، بنوعية النمط المخطط الذي أخد شكلين هما التحصيصات، ومناطق السكن الجماعي.

***النمط التقليدي:** يعتبر النمط العمراني التقليدي في مدينة بسكرة مثالا رائعا عن توافق الإنسان مع محيطه الطبيعي، فهو يعكس واقعهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي من خلال الخطة العمرانية المتبعة للتجمع والهندسة المعمارية للسكن، آخذا بعين الاعتبار كل العوامل الخارجية المؤثرة وخاصة الطبيعية. فعلى الرغم من بساطتها إلا أنها تحمل مدلولا كبيرا في قيمة المجال الحسي للمكان لارتباطهم الوثيق بالمنطقة (الواحة). وأهم ما يميز التصميم العام للنمط التقليدي هو التراص أو تظام المباني والشوارع الضيقة، يغلب على النسيج التركيبة القبلية، واستعملت مواد البناء المحلية في عمليات البناء(**ADAD Med Chérif&Zérouala Med Salah,2000**).

EISSN: 2602-781X————————ISSN: 2253-0347

***النمط الأوروبي:** لما دخل الاستعمار الفرنسي جاء بنموذج جديد في استغلال المجال الحضري مختلفا عن النسيج القديم من حيث التنظيم ، لكونه خاضع للتخطيط آخذا الخطة الشطرنجية (المخطط التوجيهي للتهيئة و التعمير لبلديات بسكرة و الحاجب و شتمة 2008).إن أهم ما ميز النمط الأوروبي هو انفصاله عن النسيج التقليدي أي خارج الواحة، ووجود المباني الضخمة هدفها إبراز الفن العمراني الأوروبي، وإظهار القوة والهيمنة الفرنسية على المنطقة من جهة أخرى.

***النمط الفوضوي:** نميز فيه نوعين:

النوع الأول: ظهر هذا النوع في الأحياء التي أنشأت إبان فترة الاستعمار الفرنسي والسنوات الأولى من الاستقلال نتيجة النزوح الريفي.

اتخذ مورفولوجيات وخطط مختلفة من شارع إلى شارع لتبدو مزيجا يجمع بين النمط التقليدي والأوروبي، أي أنها تستجيب للخصائص العمرانية التقليدية، مع محاولة إدماج عناصر الحياة العصرية. مبانيه تنمو تبعا لتجزئة بسيطة غير منظمة، تحتوي على أفنية داخلية وبمواد بناء محلية وصناعية مستوردة، هذا بحسب الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للساكنين، و بارتفاع لا يتجاوز R+3. كما أن واجهاته العمرانية تتميز بوجود الوظيفة التجارية (المحلات التجارية) في الطابق الأرضي وبأشكال مختلفة، ثم تأتي الطوابق العليا ومفتوحة على الخارج بواسطة شرفات جمعت بين التقليدي والحديث. تظهر بكثافة سكانية عالية وتفتقر الى المرافق العمومية وأماكن الراحة وكذا انعدام المساحات الخضراء.

النوع الثاني: يتمثل في الأحياء القصديرية (**Bidonvilles**)، يغلب عليها طابع الفوضى في استهلاك المجال وغياب المرافق والشبكات الضرورية، مبنية بطرق بدائية وبمواد بناء بسيطة، تشكلها الفئات الفقيرة. تبدو على شكل تجمعات تتبع النظام القبلي تبعا للأصل الجغرافي، لا تخضع لأي نظام هندسي ،وأصبحت علامة للفقر والتخلف(تحقيق ميداني،2015).

***النمط المخطط:** تظهر في شكلين هي:

الشكل الأول: مناطق السكن الجماعي: هي شكل من أشكال التعمير المخطط، جاءت لحل أزمة السكن و كنمط جديد للتوسع العمراني. هذه المناطق على شكل وحدات سكنية في عمارات متعددة الطوابق تتألف من شقق من نوع **F3** و **F4**، وتكتسي نفس الطابع (الشكل) والتموقع بين عمارتين أو أكثر (**Standardisation**). استعملت الأقواس في بعض الواجهات الرئيسية لغرض التجارة، أما المجالات الخارجية فهي تحتوي على مواقف للسيارات وأماكن للعب الأطفال. ما يعيب فيها هو عدم وجود نظام واضح في استغلال المجال حيث وضعت العمارات بصفة عشوائية، هذا الأمر تسبب في ظهور مساحات حرة غير مستغلة.

الشكل الثاني: التحصيصات: شكل من أشكال التوسع العمراني المنظم، الذي يميل إلى الامتداد الأفقي أكثر من العمودي، تخطيطها ومراقبتها خاضعة لسلطات معينة. يغلب عليها السكن الفردي ذو الطابق أو الطابقين، وبهندسة معمارية تحمل الصفات العصرية كالانفتاح نحو الخارج (الشرفات).

ما يعيب عن هذه التحصيصات هو عدم إتمام الأشغال بها، إذ أن الوظيفة التجارية تكون في الطابق الأرضي و الوظيفة السكنية في الطوابق العليا و واجهات غير مكتملة الأشغال، كما أن ما أنجز من سكنات لا يتطابق مع ما هو موجود في المخططات، كل هذا يعطي صورة عمرانية غير لائقة لتبقى هذه الأحياء ورشة مفتوحة لا تنتهي بها الأشغال.

هذه التحولات المورفولوجية ما هي إلا تجسيد واضح لطريقة تفكير السكان وتحركاتهم واستجابة لمطالبهم المستقبلية. وقد كان هذا بفضل التطور السوسيو اقتصادي للسكان أو بفعل العوامل السياسية في بعض الأحيان أو كلاهما معا، لتظهر على نمط استغلال المجال العمراني بمستوياته الثلاثة. كما عرفت ولا تزال تعرف الأنماط العمرانية الموجودة تحولات في مظهرها وشكلها جزئيا او كليا، لتواكب التطورات الخاصة

وذلك من خلال عدة تدخلات (الهدم و إعادة البناء، التجديد، التحسين، الترميم...) سواء كانت عفوية أو مخططة.

3-5-التحولات الاقتصادية

تحدث التحولات الاقتصادية عادة عندما تتحول المدينة من قطاع إلى قطاع اقتصادي آخر، أي الانتقال من نشاط إلى نشاط جديد يختلف عن السابق.وذلك داخل الجيل أو ما بين الأجيال.

مدن الزيبان بصفة عامة مدينة بسكرة بصفة خاصة كان الهدف من إنشائها هو إنتاج التمور نظرا للجودة التي تتمتع بها .بالإضافة إلى بعض الزراعات داخل الواحة، ولأن الفلاحة لا تكفي لاستمرار الحياة وتطور المنطقة فإنه كان لابد من التجارة، فالموقع الاستراتيجي التي تتمتع بها المنطقة جعلها ملتقى للقوافل بين الشمال والجنوب الكبير.

كان العمل الفلاحي بالواحة يوفر مناصب الشغل في صورة الاعتناء بالنخيل، بناء السدود، إنشاء وتنظيف السواقي. ولم تكن الفلاحة النشاط الاقتصادي الوحيد بل انتشرت بعض الصناعات الصغيرة والحرف اليدوية، التي تعتبر مصدر رزق بعض العائلات كصناعة النسيج والغزل، والتي كانت لوقت قريب مزدهرة.

وقد كان للنخيل دور كبير في عملية التعمير(تابعي ابراهيم،**2010**) لما له من أهمية اقتصادية، في كونه يستغل في عمليات البناء من خلال تسقيف المنازل وأخشاب لصناعة الأبواب. و في السنوات الأولى من الاستقلال بدأت تتراجع اليد العاملة في القطاع الزراعي ،نظرا لسياسة التصنيع المنتهجة من طرف الدولة الجزائرية، التي شجعت النشاط الاقتصادي على حساب الزراعة. فمثلا في بداية الستينات وصل عدد العاملين في مدينة بسكرة الى 22000 عامل ربعهم تابعين للقطاع الفلاحي(تابعي ابراهيم،**2010**).لتتقلص هذه النسبة تتدرجيا إلى 6.65بالمائة من اجمالي العاملين المقدر ب52733 عامل سنة 2007 (**الاحصاء العام للسكن و السكان ولاية بسكرة 2008**). رافقته نمو قطاع الخدمات والتجارة بعد الترقية الإدارية لسنة 1974 الذي على إثره ارتفعت

مدينة بسكرة إلى مقر ولاية. الأمر الذي يعني الاستفادة من المشاريع الاستثمارية العمومية، كل هذا جعل المزارعين والفلاحين يتوجهون إلى القطاع الثاني والثالث وبالأخص بعد 1990 (التوجه إلى نظام الاقتصاد الموجه للبلاد)، نظرا لما توفره من مناصب شغل دائمة ومنتظمة والأجرة جيدة(الجدول 02).

الجدول 02: التركيبة الاقتصادية لمدينة بسكرة(2008)

المدينة	قطاع الخدمات %	الفلاحة%	الصناعة %	البناء والأشغال العمومية %
بسكرة	62.40	6.65	13.01	17.90

المصدر: الاحصاء العام للسكن و السكان (ولاية بسكرة) 2008

5-4-التحولات الاجتماعية

كان المجتمع في منطقة الدراسة مجتمعا تقليديا ينشط في جميع نواحي الحياة، يتفاعل أفراده وفق أساليب ووسائل تحددها الأعراق والتقاليد ،مكونين بذلك علاقات اجتماعية يسودها طابع مميز، تخضع للنظام القبلي التقليدي. ومع مرور الوقت وتغير الظروف عرف المجتمع تحولات اجتماعية على سلوكات الفرد على 3 مستويات هي: على مستوى الفرد وعلى مستوى الحي، وعلى مستوى المدينة ككل، ومن أهم مظاهر التحولات الاجتماعية نجد:

تحول في البنية الاجتماعية: لم يعد مجتمع الدراسة مبنيا على نظام العرش و القبيلة والأسرة, بل أصبح مجتمعا عصريا تمثل الأسرة نواته الأولى.

تلاشي مفهوم الجيرة في مجتمع الدراسة: أصبحت الجيرة مجرد مجاورة مكانية، تربط بين السكان مصالح فردية فقط .على العكس في السابق أين كانت عامل أساسي في بناء المجتمع. فقد كان في السابق تربط الجيران علاقات اجتماعية (قرابة، مصاهرة...)، تساهم بشكل كبير في بناء المجتمع. وقد أصبح الزواج لا يخضع لصلة القرابة و الجيرة كما كان في السابق، أين كان بعدم الخروج عن العائلة و عن الجيران.

تراجع الأسرة الممتدة لصالح الأسرة النواة: ان الملاحظ اليوم في المجتمع البسكري يجد أنه يتألف من الأسرة النواة، التي تتكون من الزوج و الزوجة و الأبناء غير المتزوجين.على العكس في السابق، أين كان المجتمع مجتمعا تقليديا يتألف من الأسرة الممتدة، التي

تتكون من الأبوين والابناء المتزوجين و غير المتزوجين. و هذا لعدة أسباب أهمها الانتقال من المسكن التقليدي الى المسكن الحديث.

تلاشي نظام الحكم التقليدي: من أهم مظاهر التحولات الاجتماعية في مجتمع الدراسة هو تلاشي نظام الحكم التقليدي الذي يشكله مجموعة من أعيان المنطقة (الجماعة)، الذي كان يتولى تسيير شؤون المواطنين من حل النزاعات وتنظيم العلاقات العامة ...الخ .و لكن اليوم أصبحت الادارات العامة تقوم بهذا الدور، في صورة البلدية و المحكمة وغيرها من الادارات المتخصصة في كل مجال.

تلاشي العادات و التقاليد: عبارة عن أساليب و طرق مادية و معنوية تقوم بها أفراد المجتمع هدفها المحافظة على وحدته و تماسكه (الترابط الاجتماعي)، و تظهر جليا في المناسبات العامة (الأفراح، مواسم جني المحاصيل...). و لعل خير دليل على ذلك التويزة التي تعتبر مثالا في التعاون الاجتماعي في مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية (جني المحاصيل، انجاز قنوات السقي،بناء المساكن، الأعراس). لكن هذه المظاهر تقلصت و بشكل كبير جدا في التعاملات اليومية بين أفراد المجتمع.

6-عوامل التحولات العمرانية في مدينة بسكرة

ان التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة بسكرة لم تكن محض صدفة. وإنما ارتبطت بعوامل ساهمت في حدوثها، وكان لها الأثر البارز في تحديد خصائصها ومميزاتها، هذه التحولات تتمثل فيمايلي:

6-1-العوامل الاجتماعية:

***العوامل الديمغرافية:** لقد لعبت العوامل الديمغرافية في منطقة الدراسة دورا مهما في حدوث

عملية التحول. فهي من جهة كانت عنصرا بارزا في التحولات المجالية من خلال زيادة المجال العمراني، و في التحولات المورفولوجية التي تجسدت كيفية وطريقة استهلاكه من جهة أخرى. كان لها الأثر البارز في التحولات الاقتصادية و الاجتماعية جراء الهجرة، الأمر الذي يسمح بالاختلاط بين السكان الأصليين و الوافدين مما يؤدي إلى دخول عادات وتقاليد جديدة(الجدول 04)،و ظهور فكر اقتصادي جديد. و قد كانت من خلال التطور السكاني

الذي سار بوتيرة اختلفت من مرحلة إلى أخرى (الجدول 03).

الجدول 03: تطور السكان في مدينة بسكرة من 1966-أفاق 2028

السنة	1966	1977	1987	1998	2008	معطيات 2013	توقعات 2028
عدد السكان (نسمة	53177 (1)	87200 (2)	129611 (2)	172905 (2)	200654 (2)	216161 (3)	288082 (3)

المصدر: (1) (تابعي إبراهيم ،2010). (2) PDAU 2016. (3) مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية بسكرة.

الجدول 04: عدد المهاجرين لمدينة بسكرة بين 1977 – 1998

السنوات	عدد المهاجرين
1977	7698
1987-1977	10387
1998-1987	8735

la source :(SRITI Leila,2012/2013)

***العوامل الذاتية:** تخص الفرد نفسه، جاءت نتيجة التطورات التي عاشها و التي على إثرها تغيرت سلوكاته وتصرفاته، مما أدى إلى التأثير وبصورة مباشرة على مختلف عناصر المدينة. والتي تكون اما حتمية استجابة لعوامل أخرى أو عفوية وتتمثل في:

-نقص الحاجة إلى الحياة الجماعية الأمر الذي أدى إلى عدم الحاجة إلى التجاور والتعايش (الطبيعة الاقتصادية السائدة).و أصبحت المجاورة مجاورة مكانية فقط.

-الميول إلى الاستقرار في الأسرة النواة على حساب الأسرة الممتدة. هذا لأن الاسرة النواة لا تقوم على ضوابط تقليدية، و تعطي نوعا من الحرية للأبناء.على العكس في الأسرة الممتدة التي تخضع لسلطة الفرد الأكبر في العائلة.و وكذا توفير التعليم و الصحة.

-الانفتاح على العالم الخارجي بفعل انتشار وسائل الإعلام والاتصال.

***السكن:** الانتقال من المسكن التقليدي إلى المسكن المستقل الحديث يغير من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية للسكان.

2-6-العوامل الإدارية: هي مختلف السياسات المتبعة من طرف السلطات المحلية والعليا، وذلك من خلال:

***سياسات التخطيط العمراني:** والتي تجسدت إما في مخططات عمرانية أو برامج تنموية وسكنية. فمن خلال هذه السياسات استفادت مدينة بسكرة من عدة مخططات عمرانية، لتشخيص وضعيتها ورسم آفاقها المستقبلية. وذلك بوضع البرامج التنموية والسكنية. ومن أهم المخططات مخطط دارفو 1924 فترة الاحتلال الاستعماري، المخطط العمراني الموجه، وكذا المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير(بوزغاية باية، 2008/2007).

***التجهيزات الكبرى والترقيات الإدارية**: تظهر التجهيزات الكبرى عادة بعد الترقية الإدارية التي تعرفها المدينة و في اطار المشاريع التنموية الكبرى التي تستفيد منها، فبها يتحول دورها الاقتصادي و الاجتماعي و السياسي الذي يؤثر مباشرة على سكانها، وعلى الإقليم الذي ينزوي تحت حكمها، فبهذه التجهيزات تكون للمدينة أهمية على الصعيد المحلي والإقليمي، وتصبح منطقة جذب.

-في 1891: أصبحت المدينة مقر بلدية كاملة الصلاحيات بعد أن كانت منطقة عسكرية.

-في 1974: تحولت المدينة إلى عاصمة ولاية بعد ما كانت تابعة لولاية الأوراس. وبفضل الاستثمارات العمومية التي استفادت منها أصبحت من أهم المدن في الشرق الجزائري، فقد استفادت من منطقة صناعية والتي توسعت في إطار المخطط الموجه سنة 1987 الأمر الذي زاد من طاقتها الاستيعابية لتبلغ تقريبا 183 هكتار، ومنطقة تجهيزات سنة 1975 شمال المدينة تقدر مساحتها ب46هكتار.و بعدها تم انشاء منطقة الحظائر تضم مختلف الورشات و وحدات البلدية تبلغ مساحتها 115 هكتار(المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلديات بسكرة الحاجب شتمة 2008).

-في 1984 تم تشييد المعاهد الوطنية للتعليم العالي والتي ارتقت في 1992 إلى مركز جامعي وفي 1998 ارتقى المركز الجامعي إلى جامعة.

-كما استفادت المدينة من مطار دولي الذي يعتبر كنقطة تبادل نشيط (سلع وأشخاص).

هذه التجهيزات جعلت المدينة منطقة استقطاب و مهيمنة على مجالها الولائي والإقليمي, و هذا بفضل الخدمات المقدمة.

3-6-العوامل الاقتصادية: وتتجلى في:

***تحول في النظام الاقتصادي:** قبل 1990 كانت الدولة هي الفاعل الرئيسي في نمو المدينة. من خلال مختلف الاستثمارات العمومية، فمن خلالها عرف المجال العمراني تطورا كبيرا، وزاد هذا بعد 1990 بعد دخول القطاع الخاص هذا الأخير كانت مساهمته مساهمة فعالة(المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلديات بسكرة الحاجب شتمة 2008).

***تحول في الأنشطة الاقتصادية:** يساهم في حدوثها السكان، فمن واحة هدفها إنتاج التمور وبعض الزراعات الغذائية، إلى منطقة للتبادل التجاري، إلى مدينة إلى مدينة صناعة، إلى مدينة يغلب عليها القطاع الثالث (الخدمات).

***السكن:** كان إنتاج السكن في الماضي يعتمد على التقنيات التقليدية يشارك فيها السكان (سكان الحي) أو العائلة، أي بالأحرى ما يعرف بالتويزة (**ADAD Med Chérif&Zérouala Med Salah,1997**). ومع مرور الوقت وتغير السياسة، وتطور الظروف والأحداث أصبح إنتاج المسكن يعتمد على شركات ومقاولات وطنية خلال النظام الاشتراكي في صورة **SONATIBA**، التي كانت تنجز المساكن الجماعية والمشاريع الكبرى(**ZHUN**) بمواد بناء تختلف عن السابق، وبعد 1990 لم يصبح لهذه الشركات وجود.هذا دفع بدخول الخاص بإنشاء مقاولات خاصة صغيرة وكبيرة لبناء السكن الفردي والجماعي. مع إدخال تقنيات ومواد بناء جديدة.و هذا ما يفسر زيادة في الحظيرة السكنية في المدينة في السنوات الأخيرة (الجدول 05).

الجدول 04: تطور الحظيرة السكنية في مدينة بسكرة

المدينة	إحصاء 1977	إحصاء 1987	إحصاء 1998	إحصاء 2008
بسكرة	14092	20806	24519	31396

المصدر: إحصاء 1977+إحصاء 1987+إحصاء 1998+إحصاء 2008

7-تأثيرات التحولات العمرانية على المحيط في مدينة بسكرة

كان للتحولات العمرانية في مدينة بسكرة تأثيرات سلبية على المحيط بكل جوانبه كرد فعل، والتي لم تكن بالحسبان اذ:

7-1-على الجانب الطبيعي

***زيادة هشاشة الوضع للتعرض للرياح القوية والعواصف الرملية** :(لا توجد حواجز طبيعية والمتمثلة في النخيل، طرق واسعة لا تتلائم مع مناخ المنطقة). وبالأخص الرياح الجنوبية الشرقية.

***الحرارة العالية والشديدة في المدينة:** تدوم لفترة طويلة (من شهر ماي الى أواخر شهر أكتوبر). وتكون طوال اليوم تقريبا وتكون في بعض الأحيان قاتلة، بسبب تدهور الواحة التي كانت في السابق تعمل على تلطيف الجو، وكذا التعرض المباشر لأشعة الشمس. لعدم ملائمة العمران الحديث لطبيعة المنطقة. هذه الحرارة الشديدة تعيق الحركة لتكون بذلك المدينة فارغة طوال النهار، ضف الى الإرهاق الذي يصيب الانسان جراءها.

***الشعور بالاختناق**: بسبب الضغط المرتفع الناتج عن الحرارة وغياب المساحات الخضراء والمسطحات المائية، وبقاء الرياح الساخنة والباردة على حالها، نظرا عدم وجود تيارات هوائية تعمل على تحريكها، بسبب تدهور الواحة. مما يعني حدوث دوامات هوائية تساهم في الزيادة في درجة الحرارة المحيطة بالمدينة.

***تدهور الواحة:** جراء الإهمال والتعمير العشوائي، الأمر الذي جعل نصيب الفرد يقل وبشكل رهيب (0.8 نخلة لكل فرد). بعدما كان يصل نصيب الفرد الى 5 نخلات لكل فرد

في سنوات الخمسينات(تم حساب معدل نصيب الفرد بتقسيم عدد النخيل على عدد السكان بالاعتماد على احصائيات منوغرافية ولاية بسكرة).

في 2013 بلغ عدد النخيل في بلدية بسكرة 184580 نخلة(**مديرية المصالح الفلاحية لولاية بسكرة 2013**)، و وصل عدد سكان بلدية بسكرة 233899 نسمة

الصورة01:حلول البناء مكان النخيل(راس القرية)

المصدر: تحقيق ميداني 2015

الصورة 02: تدهور الواحة (قداشة)

المصدر: تحقيق ميداني 2015

7-2-على الجانب المشهدي: تدهور في الواجهات

***تدهور الأحياء التقليدية:** تشهد الأحياء التقليدية في منطقة الدراسة تدهور كبيرا وفي بعض الأحيان تصبح وكرا للآفات الاجتماعية والجريمة، بسبب تخلي ملاكها عنها. ويعود هذا التخلي الى مشكل الإرث الذي أصبح عائقا كبيرا في عمليات البيع والشراء، ليبقى السكن الموروث لا يباع ولا يشترى يتدهور بمرور الزمن وبالأخص الواجهات.

الصورة 04: تدهور البناء التقليدي(لمسيد)

المصدر: تحقيق ميداني 2015

EISSN: 2602-781X————————————ISSN: 2253-0347

***اشكالية الأحياء الحديثة:** مساكن لا تكتمل وتفتقر الى التناسق على عكس في السابق، أين كانت الواجهات بشكل موحد. و بالتالي أصبحت ورشات مفتوحة. أما مناطق السكن الجماعي فهي الأخرى تعرف تشوها كبيرا في الواجهات، بسبب تدخلات المواطنين عليها.لأنها لا تعكس خصوصيتهم.

3-6-على الجانب المورفولوجي

***فوضى في استهلاك المجال:** على الرغم من برامج التخطيط المتبعة في عملية التطور العمراني، الا أنه هناك فوضى في استهلاك المجال، فالبناء الفوضوي ينتشر على الأطراف الحضرية، وبدون رخصة بناء. يكون فيها تقسيم القطع الأرضية بطريقة عشوائية. ضف الى هذا نجد الاستيلاء على المجالات العمومية من أرصفة ومساحات خضراء ليتشكل بهذا نسيج عمراني يفتقد الى خطة وهيكلة حضرية واضحة، وتظهر أحياء فوضوية كبرى يصعب التحكم فيها عمرانيا واجتماعيا (مشاكل الجيرة، أفات اجتماعية، عدم التواصل الاجتماعي، التفكك الاجتماعي...). في صورة حي سيدي غزال الفوضوي و حي العالية القصديري.

الصورة 05:البناء الهش(العالية الشمالية)

المصدر: تحقيق ميداني 2015

***التلاحم الحضري:** مع تجمع شتمة من الجهة الشرقية على محور الطريق الوطني رقم 31، و مع تجمع الحاجب من الجهة الجنوبية على محور الطريق الوطني رقم 03. ليتشكل بما يمكن تسميته **بالتجمع البسكري** بتعداد سكاني يقدر ب 261042 نسمة

(مونوغرافية ولاية بسكرة 2013), و هي بمثابة أقطاب عمرانية يمكنها أن تلعب دورا مهما في الإقليم.

***استهلاك مفرط في العقار:** صحيح أن المدينة كي تستمر عليها أن تنمو وتتطور، ويكون هذا باستهلاك المجال، ولكن بطريقة عقلانية لأن العقار ثروة غير متجددة. وان استنفذ يصبح توسع المدينة المستقبلي صعبا.اذ أنه عند تجسيد المشاريع التي استفادت منها المدينة تم استهلاك العقار بطريقة غير عقلانية وبعشوائية كبيرة، اذ شهد تبذيرا دون مراعاة قيمته وأهميته وأصبحت المدينة تعرف بما يسمى **بالتمدد الحضري**.الذي يتميز بانخفاض في معامل شغل الأرض على عكس الأحياء التقليدية التي يكاد يكون فيها معامل شغل الأرض 100%. وكنتيجة لهذا تشكلت مساحات حرة واسعة لا معنى لها، لا تؤدي أي وظيفة حضرية في المناطق الحضرية السكنية الجديدة والتجهيزات الكبرى. وقد جاءت بفعل سوء التخطيط،لأن هذه المشاريع جاءت بصورة استعجالية لمواكبة التحولات الكبرى للمدينة (الترقية الادارية).

6-4-على الجانب البيئي

يعتبر المحيط البيئي الأكثر تضررا جراء التحولات العمرانية التي شهدتها المدينة. اذ أصبحت النفايات الحضرية بمختلف أنواعها تؤرق السلطات والمواطنين على حد سواء، حيث أضحت مشهدا يوميا يشوه الصورة الحضرية للمدينة. بسبب التصرفات السلبية ونقص الوعي البيئي بعدم المبالاة أثناء رمي القمامة (الرمي العشوائي)، وضعف الإمكانيات المادية للبلدية عند جمع النفايات التي يفرزها السكان وأنشطتهم، و كذا عم التنسيق مع المتعاملين الاقتصاديين. خاصة مع الزيادة المعتبرة في عدد السكان، وفي نشاطهم مما يعني عدم التحكم فيها بشكل جيد(مقابلة مع نائب مدير مديرية البيئة لولاية بسكرة مارس 2016).

وأمام هذا الواقع أصبحت المدينة تعاني من مشاكل عديدة تتعلق بالتلوث البيئي من الانتشار العشوائي **للنفايات المنزلية والهامدة** (مخلفات البناء)، التي تؤثر بصورة مباشرة على صحة الانسان وعلى الطبيعة وعلى الإطار المعيشي. مما جعل السكان يتذمرون من الوضعية التي آلت اليه مدينتهم وغير راضين عن أحيائهم من ناحية النظافة(تحقيق ميداني،2016).

الصورة 06 : النفايات الهامدة في الجهة الشرقي لمدينة بسكرة

المصدر: تحقيق ميداني 2016

7-5-على الجانب الاجتماعي

***ظهور نوع من الطبقية:** من لديه القدرة على تجديد مسكنه يجدده بطريقة عصرية ومن لم يستطع تحسينه يبقى المسكن متدهور يشوه المشهد الحضري، هذين النوعين نجدهما متجاورين.ومن شأنه التأثير من الناحية الاجتماعية على نفسية السكان، و تؤدي الى تفكك المجتمع. على العكس في السابق فقد كانت الواجهات العمرانية بشكل موحد.

الصورة 07: مسكن تقليدي جدد بمواد البناء الحديثة و بجواره مسكن تقليدي لم يجدد

المصدر: تحقيق ميداني 2015

***ترييف المدينة:** من خلال بعض التصرفات السلبية من طرف المهاجرين التي لا علاقة لها بالحياة الحضرية، كتربية الحيوانات داخل المحيط العمراني، والأعراس البدوية المزعجة. و بالتالي عدم وجود الاحترام المتبادل بين الجيران، الذي كان يميز سكان المدينة سابقا(تحقيق ميداني).

***ضعف الروابط الاجتماعية:** عند التحقيق الميداني في منطقة الدراسة توصلنا الى أمر مهم. ألا وهو ضعف الروابط الاجتماعية. هذا الأمر أدى الى فتور العلاقات بين الجيران والأقارب. الأمر الذي أدى إلى عدم توفر الأمن والقلق الدائم من الجيران، لأنهم لا يعرفون بعضهم البعض (بالأخص في أحياء السكن الجماعي)، انتشار الآفات الاجتماعية، وكذا اللامبالاة بما يحدث في الحي. وهذا ما يؤكد التفكك الاجتماعي بين أفراد المجتمع.

7-6-الجانب الاقتصادي

***تحسن الأوضاع الاقتصادية:** أثرت التحولات الاقتصادية على السكان بالإيجاب. لأن التحول من القطاع الأول الى الثاني ثم الى القطاع الثالث الذي يسيطر بنسبة كبيرة في الوقت الحالي ساهم في تحسن الوضع المهني.بفضل تحسن أوضاع و ظروف العمل الحديثة.

- **انتشار التجارة الفوضوية:** على غرار باقي المدن الجزائرية شهدت مدينة بسكرة انتشار الأنشطة غير الرسمية، والمتمثلة في التجارة الفوضوية التي تمارس في المجالات العمومية من أرصفة وساحات عمومية. هذه الأنشطة تشكل عبئا على المحيط الحضري كونها تؤدي الى مشاكل حضرية كالتلوث السمعي،جراء الضجيج الكبير الذي تخلفه الحركة والازدحام سواء كان مصدرها الراجلين أو المركبات والنفايات التي تخلفها. والتي ترمى بطريقة عشوائية من شأنها تلويث المحيط المعيشي،لأنها مصدر الروائح الكريهة والحشرات الضارة.

8.خاتمة

إن التحولات العمرانية التي عرفتها مدينة بسكرة ما هي إلا استجابة للتطور الذي شهدته المنطقة في مختلف النواحي و كذا لمواكبة التطورات الحاصلة. فمن المدينة التقليدية المخططة وفق الأبعاد الإنسانية إلى المدينة الحديثة التي أصبحت أهم المراكز الحضرية في إقليم الزيبان وعلى مستوى الشرق الجزائري. بفضل ما تملكه من تجهيزات تقدم خدمات هامة.و لكن للأسف هذه التحولات أثرت بصورة سلبية على المحيط بكل جوانبه.الأمر الذي يجعل المدينة تعاني من عراقيل أثناء التطور المستقبلي.لأن المدينة

ستتحول الى **مدينة ميتروبولية** وستصبح أكثر استقطابا، بفضل المشاريع المهمة المبرمجة على المستويين القريب والبعيد في صورة مشروع حدائق الزيبان و مشروع توسعة مشروع حمام الصالحين, لتزول بذلك منها صفة مدينة واحتية نهائيا. وسيتجسد كل هذا عن الطريق التعمير في الجهتين الشرقية والغربية بسبب وجود عوائق تمنع التعمير في الجهتين الشمالية والجنوبية. لكن هذه المناطق المبرمجة للتوسع المستقبلي غير محمية من التأثيرات الطبيعية الخارجية. الأمر الذي من الممكن أن يفرض تحديات ورهانات، بسبب المخاطر التي من المحتمل أن تحدث وأن تؤدي الى كوارث طبيعية، لأن المدينة أصبحت أكثر هشاشة تجاه الرياح الشديدة والزوابع الرملية ،وكذا الحرارة العالية التي تكون بصورة كبيرة في فصل الصيف.

قائمة المراجع:

أولا:المراجع باللغة العربية

1. تابعي إبراهيم(2010): **العمارة الاستعمارية و مدى تأثيرها على الممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية** *"دراسة حالة مدينة بسكرة"*. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الهندسة المعمارية تخصص: التجمعات البشرية في المناطق الجافة و شبه الجافة. جامعة بسكرة.

2. مدور وليد (2010/2009): **التحولات الحضرية في منطقة جبلية : حالة مراكز وادي عبدي(الاوراس)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التهيئة العمرانية، جامعة قسنطينة .

3. بوزغاية باية(2008/2007): **تلوث البيئة والتنمية بمدينة بسكرة**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الحضري، جامعة قسنطينة.

4. الاحصاء العام للسكن و السكان (ولاية بسكرة) 2008 ،

5. مديرية البرمجة ومتابعة الميزانية لولاية بسكرة.

6. المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير لبلديات بسكرة الحاجب شتمة .

7. إحصاء 1977+إحصاء 1987+إحصاء 1998+إحصاء 2008.

8. مديرية المصالح الفلاحية لولاية بسكرة 2013

9. مونوغرافية ولاية بسكرة 2013

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

1. MARLIN. P et CHOAY F (2000), **Dictionnaire de l'urbanisme et l'aménagement,** Édition Presses Universitaires en France, Paris.

2. REMY Allain (2004), **La morphologie urbaine**, géographie, aménagement et architecturale de la ville, Armand Colin, Paris

3. SAIDOUNI Maouia (2000), **Les éléments d'introductions à l'urbanisme,** Histoire, méthodologie, réglementaire, édition Casbah Alger.

4. HILLIER Bill (1996), **Space is the machine a configuration Theory of Architecture**, Cambridge, University Press

5. ALDO Rossi(1982), **The Architecture of The city**, The MIT, Press Cambridge, Massachusetts and London

6. SRITI Leila(2012-2013), **Architecture domestique en devenir Formes**, **usages et représentations le cas de Biskra**, Thèse Présentée en vue du l'obtention du Diplôme de Doctorat en Science en Architecture, Option : Architecture en milieux arides et semi-arides, université de Biskra.

7. ADAD Med Chérif&Zérouala Med Salah *:* (2002) ***APPRENDRE DU PASSE : CAS DU BISKRA*** Revue n 17 sciences et technologie.université de Constantine.

EISSN: 2602-781X————————————ISSN: 2253-0347

8. ADAD Med Chérif & Zérouala Med Salah: *TOUIZA:AUTO-ASSISTANCE COLLECTIVE EFFECATIVE DANS LA PRODUCTION D'UN HABITAT ECONOMICQUE : CAS DE BISKRA*. Séminaire Internationale: la ville dans le contexte algérien(1997).université de Biskra.